

الفصل الثامن

الحزب الوطني تحت زعامة محمد فريد

- ١ — محمد فريد وزعامته للحزب الوطني
- ٢ — الصراع بين محمد فريد وعلى فهمي كامل
- ٣ — الخلاف بين فريد والخديو
- ٤ — تعيين بطرس غالي رئيسا للنظار وموقف الحزب الوطني منه
- ٥ — مقتل بطرس غالي وأسبابه

١ — محمد فريد وزعامته للحزب الوطني :

بعد وفاة مصطفى كامل حاول الخديو احتواء الحزب الوطنى وذلك بترشيح من يتوسم فيه السير فى ركاب القصر ، ويدين بالطاعة والولاء له ولما لم يكن فريد بالرجل الذى تتوفر فيه هذه الصفات فقد بدأ الخديو يدس دسائسه لانتخاب من يكون طوع ارادته وقد أوضح فريد ذلك فى مذكراته فقال « أرسل الخديو رجاله فى الجنازة والمآتم فالشيخ على يوسف عدو مصطفى كامل والمنافس له فى جميع أموره حضر المآتم فى الليالى الثلاث الأول وكذا عرفى باشا من رجاله أيضا ، وأخذوا يزشحون من يتوسمون فيهم الطاعة من الرؤساء مثل يوسف المويلحى أو عرفى باشا ، وبعضهم رشح الشيخ على يوسف نفسه ، ولكن كل هذا لم يقد .. ومن لعبوا دورا مهما فى هذه المسألة بايعاز من الخديو على فهمى كامل ، فانه كان يريد أن ينتخب بمصلته أخ الفقيد وجهز أوراقا مكتوبا عليها اسمه ، ووزعها على بعض الحاضرين ، وأدخل فى منحصر الاجتماع الكثيرين من غير الأعضاء بواسطة من وضعهم على الباب من رجاله ، ولكنه لما رأى التيار قويا ضده حول الدفة ، وخطب فى الحاضرين مرشحا لى بناء على جواب كتبه له أخوه من أوربا يوصيه فيه بانتخابى رئيسا لو عاجأه القدر المحتوم^(١) .

كما أوضح أحمد شفيق أسباب محاولات الخديو منع انتخاب فريد رئيسا للحزب الوطنى فذكر أن ذلك كان يرجع الى أن فريد لم يكن بالرجل الذى يسير طوع ارادة الخديو ، لذلك فإن الخديو عمل على

(١) مذكرات محمد فريد . ملف رقم ١ الجزء الاول — القسم الاول

تقريب أعضاء الحزب منه وإملاء إرشاداته وتوجيهاته عليهم حتى يسيروا على الطريقة التي تتفق مع أهوائه ومراميه (٢) .

وعلى كل حال فقد فشلت محاولات الخديو في إسقاط فريد ووقف الأستاذ عثمان مبرى صهر مصطفى كامل وألقى خطبة أبان فيها أن محمد فريد هو المرشح الوحيد لخلافة مصطفى كامل ، وكانت هذه الفكرة موضع إعجاب الحاضرين قبل الاجتماع فنودي به رئيسا للحزب الوطني (٣) ومع أن المسألة الأولى من لائحة الحزب كانت تقضى بانتخاب رئيس الحزب مدى الحياة فإن فريد طالب بتعديل هذه المسألة وتحديد المدة التي ينتخب لها الرئيس فأجيب إلى طلبه ، وتقرر جعل مدة الانتخاب ثلاث سنوات (٤) .

ولما علم الخديو بأمر تعيين فريد طلبه بالتلفون فتوجه إلى سراى عابدين فقابلته الخديو وهناك على انتخابه وكان من ضمن عباراته له « أن وجود مثلك على رأس الحركة الوطنية مفيد جدا لأنك لست محتاجا ولا طالبا للمال ولأنك من عائلة خدمت البلاد .. ولا يمكن للانجليز أن يقولوا عنك بأنك طالب شهرة أو مال أو وظيفة (٥) » .

حول فريد زعامة الحزب الوطني وأخذ يشرف على تحرير جرائد الحزب الثلاثة ويوجه سياستها كما أنشئ في أول عهده بالرئاسة نادي الحزب الوطني وتولى رئاسته فبرهن على أنه جدير حقا بأن يحصل الرسالة ، ولكن الأمور لم تسر على المنوال الذي سارت عليه رئاسة مصطفى كامل للحزب الوطني فقد اكتفت رئاسة فريد مشاكل جمّة منها أنه تولى زعامة الحزب في وقت ظهرت فيه سياسة الوفاق بين

(٢) أحمد شفيق : المرجع السابق ص ١٤٥ .

(٣) الراعي : محمد فريد ص ٤٥ .

(٤) نفسه ص ٤٥ .

(٥) مذكرات محمد فريد . الجزء الأول — القسم الأول ملف رقم (١) .

الخديو والاحتلال ، فصارت الحركة الوطنية بزعملة فريد مدحا للحرب شديدة من جانب الاحتلال والخديو معا^(٦) مما جعل فريد يساعد من جهاده .

وقد أعلن فريد أن مطالب الحركة الوطنية تنحصر في مطلبين هما الجلاء والدستور وبذلك كان متفقا في خطته مع مصطفى كامل إلا أنه أبرز دعوة المطالبة بالدستور وجعل منها حركة عامة دعا إليها الأمة ووجهها إلى مطالبة الخديو بالدستور بكتابة العرائض إلى قصر عابدين^(٧) ، وقد أعد الحزب الوطني عرائض لتقديمها إلى الخديو بطلب مجلس نيابي^(٨) .

والواضح أن عمل هذه العرائض كان بالاتفاق مع الخديو ، وقد وضح فريد ذلك بقوله « كان الشروع في هذا العمل بالاتفاق مع الخديو حتى إذا سافر إلى إنجلترا يتكلم مع الملك إدوارد في ذلك ويظهر له أن الأمة تطلب الدستور وأنه أي الخديو — يوافق على ذلك لأنه من حقوقها^(٩) » .

وأخذ الحزب الوطني يجمع التوقيعات بطلب المجلس النيابي حتى وصلت إلى حوالي نحو خمسة وسبعين ألف توقيع^(١٠) ، ولما كان لهذه

(٦) الراغبى : المرجع السابق ص ٤٦ .
(٧) دار الوثائق : محافل عابدين — ديوان خديو . التماسات جماعية

مختلفة رقم ١٢ .
(٨) سبقة هذه العرائض ما يلي .
مولاي « أننا بكل إخلاص وثقة بلبائكم السلمية نلتزم من لدنكم أن نمنحوا رعييتكم المخلصة ما منحه أبوكم الكريم لها عام ١٨٨١ وهو إنشاء مجلس نيابي يكون عوناً لحكومته السنية على نشر العلوم والمعارف ، وأنت يا مولاي الأمير خير من يقدر الدستور قدره لأنك نشأت نشأة عصرية شاعت محبتك لرعييتك التي رقيها من أجل أمينتك » .
اللواء . ١٩٠٨/٢/٢٥ وما بعدها . وانظر أيضا تقارير الأمن العام — للداخلية الموجودة بدار الوثائق تحت عنوان عرائض وطلبات من الأعلى بشأن إنشاء مجلس نيابي عام ١٩٠٨ .
(٩) مذكرات محمد فريد . القسم الأول — الجزء الأول ص ٤ .
(١٠) نفسه .

الحركة دوى كبير داخل البلاد سعى الاحتلال لاجباطها فعندما سأل أحد الأعضاء فى مجلس العموم وزير الخارجية البريطانى عما اذا كان لخديو أن يمنح مصر دستورا أو مجلسا نيابيا ، فأجاب بأنه لا يمكنه ذلك الا بعد استشارة الحكومة البريطانية مما جعل الحزب الوطنى يحتج بشدة على ما تخوله انجلترا لنفسها من الحق غير الشرعى فى التدخل بين الأمة والخديو صاحب السلطة فى منح أمته الدستور (١١) .

وعلى الرغم مما أبداه الخديو من ارتياح فى بداية الأمر الى تقديم العرائض فانه قابل اتساع هذه الحركة بالمفتور ، ثم تغير موقفه حيالها وبوجه خاص بعد أن أظهر الاحتلال استياءه من هذه الحركة (١٢) . ثم اتبع الحزب الوطنى أسلوبا جديدا فى المطالبة بالدستور وهو أسلوب المظاهرات الشعبية ، فكان يتجمع فى حديقة الجزيرة الآلاف ثم تسير المظاهرة الى قلب القاهرة منادية بالدستور ، وكان دور الطلبة وخصوصا طلبة المدارس العليا بارزا فى هذه المظاهرات وفى محطة طنطا قام للطلبة بمظاهرة وطنية أثناء مرور الخديو بها يطالبون بالدستور ، كما تظاهر الطلبة أثناء مرور موكب الخديو فى القاهرة هاتفين الدستور يا أفندينا (١٣) ، وكان طلبة الحقوق يصعدون على سطح مدرسة مجاورة لقصر غابدين يرددون الهتاف للدستور (١٤) ، وقد تزايدت هذه الهتافات حتى أصبحت أقرب الى نشيد وطنى لا يظهر الخديو فى أى مكان عام الا ويواجه بها وأحيانا تختلط هذه الهتافات بزغاريد النساء (١٥) .

واتبع الحزب الوطنى أسلوب آخر فى المطالبة بالدستور ، وهو تقديم عريضة للخديو يطلب فيها أعضاء الحزب الدستور ، واذا لم يتحقق مطلبهم فى مدة شهر يتوقف كافة المصريين عن دفع الضرائب

(١١) الرافعى : المرجع السابق ص ٥٨ .

(١٢) نفسه ص ٥٩ .

(١٣) نفسه ص ٦٢ .

(١٤) محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ج ١ ص ٣٢ .

(١٥) دار الوثائق : مذكرات سعد زغلول كراس رقم ٩ .

للحكومة^(١٦) يضاف الى ذلك أن بعض رجال الحزب الوطنى عملوا على ارباب الخديو حتى يعلن الدستور فأرسلوا له خطابات تهديد بنفسه موكبه ، كما حاولوا اظهار قوتهم فقاموا بوضع عوائق أمام القطار الخاص الذى كان يقوده الخديو بنفسه من مريوط الى الاسكندرية ، ولكن الخديو تمكن بصعوبة من إيقاف القطار^(١٧) .

وعلى كل حال لم تسفر هذه الحركة عن اعلان الدستور ، ولكنها غرست فى نفوس المصريين تعلقهم بالنظام الدستورى وكراهيتهم للحكم الاستبدادى^(١٨) .

ولتحقيق أهداف الحزب فى الجلاء والدستور عمل فريد على تحقيق ما يأتى :

١ — تعليم الشعب على قدر الطاقة حتى يتعرف على حقوقه فطالب بنشر التعليم الابتدائى بين جميع طبقات الشعب وأن يكون هذا التعليم الزاميا ومجانيا لكل مصرى ومصرية^(١٩) كما تبنى فريد مع نادى المدارس العليا فكرة انشاء مدارس ايلية لتعليم الفقراء والعمال مجانا وهذه المدارس عرفت باسم مدارس الشعب ، وقد عهد بالتدريس فى هذه المدارس الى رجال الحزب الوطنى وأنصاره فكان المحامى والطبيب والمهندس وغيرهم يخصصون من أوقاتهم ساعة أو أكثر كل مساء يقفون فيها فى حجرة ضيقة خشنة يعلمون الفقراء مبادئ القراءة والكتابة ، وجغرافية بلادهم وتاريخها^(٢٠) وقوانين المعاملات اليومية والأخلاق والآداب وغير ذلك من العلوم .

(١٦) د. يونان لبيب : المرجع السابق ص ١٧٦ .

(١٧) المؤيد فى ٢٨ مارس ١٩٠٨ .

(١٨) الرافعى : المرجع السابق ص ٦٢ .

(١٩) نفسه ص ١١٩ .

(٢٠) أحمد بهاء الدين : أيام لها تاريخ ص ٧٣ .

والجدير بالذكر أن بذور انشاء نقابة الصنائع اليدوية تمت على يد المدارس الليلية حيث كان هناك هدف مشترك بينهما وهو حماية العامل والفلاح من الفقر ، ومساعدته عند الشيخوخة .

٢ — دعا فريد الى وضع التشريعات لحماية العمال واهتم بتأسيس النقابات لتحسين أحوال العمال وترقية أحوالهم المادية والمعنوية فأنشئت بولاق عام ١٩٠٩ أول نقابة للعمال في مصر باسم نقابة عمال الصنائع اليدوية ثم سرت فكرة تأسيس النقابات في عواصم الأقاليم فأنشئت نقابات لعمال الصنائع اليدوية في الاسكندرية والمنصورة وطنطا وغيرها على غرار نقابة القاهرة (٢١) .

٣ — طور فريد طريقة الحزب الوطني في الكفاح فلم يعد نشاطه يقتصر على الكتابة في الجرائد وطبع النشرات وعقد الاجتماعات والقاء الخطب بل تخطى كل ذلك الى تأسيس جمعيات للطلاب المصريين الذين يدرسون في الخارج بهدف الدفاع عن قضية استقلال مصر (٢٢) ثم عقد المؤتمرات في أوروبا لشرح حقيقة القضية المصرية يضاف الى ذلك الاشتراك في المؤتمرات التي تعقد في أوروبا لاثبات حقوق الشعوب المغتصبة بهدف تكوين رأي عام يناصر القضية المصرية .

يضاف الى ذلك أن فريد عمل على الاحتفاظ بوحدة الحزب وتضامن أعضائه ، وانشاء اللجان الفرعية للحزب في أقسام العاصمة وفي البنادر والأقاليم .

(٢١) الراعى : المرجع السابق ص ٩١ .

(٢٢) مثير الشرق في ١٥/٨/١٩٥٢ الحلقة العاشرة من مذكرات الشيخ الغاباني .

٢ — الصراع بين محمد فريد وعلى فهمى كامل :

كان الخلاف الأساسى بين محمد فريد وعلى فهمى كامل هو موقف كل منهما من الخديو ، فالأول كان يمثل تيار الديمقراطية ويتمسك بالدستور بينما الآخر كان يمثل الموالاة الشديدة للخديو^(٢٣) ، وتبدو ملامح الصراع بين فريد وعلى فهمى كامل فى النقاط الآتية :

(١) أوراق ومكتاتبات الخديو لطفى كامل :

حاول الخديو استرداد الخطابات التى تثبت مقابلاته مع مصطفى كامل سرا^١ فى أوروبا أو فى بعض أماكن سرية فى مصر وذلك حتى لا يستغلها أحد من زعماء الحزب الوطنى فى الضغط عليه أو التشهير به أمام الانجليز ، وكان طريق الخديو لاسترداد هذه الأوراق هو بث بذور الخلاف بين رجال الحزب ومحاولة اغراء بعضهم بالمال وقد كشف محمد فريد عن ذلك فى مذكراته فقال « رغما عما كان بينى وبين مصطفى كامل من الصداقة والاخلاص المتبادل فانه كان يخفى على بعض أموره الخاصة السياسية ومن ذلك مسألة هذه الأوراق فانى لم أطلع عليها ولم أراها مطلقا ، ولكن لما أتت عقب وفاته أن أخاه على بك سلم هذه الأوراق الى الخديو مقابل مبلغ عظيم أخذت أبحث سرا وهناك خلاصة ما وقلقت عليه : علمت من الدكتور صادق رمضان أنه يعرف الأوراق وان مصطفى كان محتفظا بها جيدا وواضعا تحت مخدته فى سرير مرضه .. وان الواسطة فى أخذ هذه الأوراق كان خليل بك حمدى وكيل مدرسة البوليس ومحمود بك حسنى ناظر مدرسة عابدين .. وان الخديو بنفسه أتى بسيارة الى ميدان الأزهار ومعه شوقى بك^(٢٤) وأحد

(٢٣) الأهرام فى ١٩٧٣/٨/٣ مقال للدكتور محمد اتيس تحت عنوان « الصراع بين الخليفة والورثة — محمد فريد وعلى فهمى كامل » .

(٢٤) يتصد أحمد شوقى شاعر المعية .

ياورانته وهناك قابله على بك أو ركب معه وسلمه الأوراق (٢٥) » .

ويؤكد محمد فريد توافقه على فهمي كامل مع الخديو في ضرب وحدة الحزب الوطني أثناء وبعد تسليم أوراق مصطفى كامل فيقول « والذي يؤيد هذه الحادثة .. أن الخديو ابتداءً يستعمل الشدة مع الحزب وببث الدسائس ضده بعد الحصول عليها ، وإن على فهمي الذي كان يشتكى الفقر المدقع سافر عقبها إلى أوروبا ومنها إلى الآستانة وهناك قابل الخديو أيضاً واستلم منه مبلغاً من المال وسافر إلى المدينة المنورة لحضور الاحتفال بافتتاح السكة الحديد الحجازية ثم عاد إلى مصر وأخذ يدس دسائسه لايجاد فشل في لجنة الحزب الادارية وليضع يده على جريدة اللواء ليدير سياستها بما يوافق الخديو (٢٦) » .

وهنا يطرح سؤال هو لماذا هذا الموقف المضاد من على فهمي كامل إلى محمد فريد ؟

الواقع أن على فهمي كامل كان يعتقد أن رئاسة الحزب الوطني كانت له بحق الميراث وأن فريد اختلسها منه لذلك أخذ يحاربه في الباطن بينما يظهر الوقوف معه في الظاهر (٢٧) يضاف إلى ذلك أن على فهمي كامل لم يكن مستريحاً لسياسة فريد المتشددة تجاه الخديو كما أن حبه للمال جعل من السهل على الخديو اجتذابه إلى صفه والتجمع ضد محمد فريد ونقد سياسته ومحاولة اظهاره بعدم القدرة على ادارة الحزب وصحافته .

(٢٥) مذكرات محمد فريد . الجزء الاول — القسم الاول ص ٨ .

(٢٦) نفسه .

(٢٧) ان الورثة كثيراً ما يعتقدون انهم يرثون الزعيم الوطني في كل شيء حتى زعامته لامته ويبدو ذلك جلياً في التاريخ المصري فحين توفي سعد زغلول بدأ الصراع بين مصطفى النحاس وبين ما يعرف بالحزب السعدي الذي حظي بتأييد سفية زغلول .
الأهرام . مقال الدكتور محمد أنيس السليبي الذكر .

(ب) اضراب عمال اللواء عن العمل

دبر على فهمي كامل مع المنشقين على سياسة محمد فريد مؤامرة لتعطيل جريدة اللواء فحرضوا عمال الطباعة بالجريدة على تعطيلها وقد أوضح محمد فريد ذلك في مذكراته فقال « بعد عودة على بك من أوروبا أخذوا في تدبير الاعتصاب .. وفي صبيحة ٣ نوفمبر .. لم أجد أحدا من العمال لا كبيرا ولا صغيرا وبعد قليل حضر محمود أفندي عزت مندوبا من قبل المعتصبين فلم نتفق وأخيرا استدعيت بعض الاخوان بالتلفون واستحضرنا عمالا آخرين وجمعنا الجرنال في مطبعة الجريدة بعد اتفاقى مع أحمد بك لطفى السيد لأن عامل آلة المطبع كان قد رفع منها بعض قطع لتعطيلها^(٢٨) ومما يؤكد اشتراك الخديو وعلى فهمي كامل في هذه المؤامرة أن الخديو أرسل لعمال اللواء المضربين مبلغ ستين جنيه اعانة^(٢٩) ، كما أن السيد أفندي على^(٣٠) أحد المتواطئين مع على فهمي أخذ معه كل الأصول الموجودة عنده لتعطيل العمل^(٣١) » يضاف الى ذلك أن القاطع التي أخفاها العمال من آلة الطباعة بهدف تعطيلها تم العثور عليها بمعرفة على فهمي كامل^(٣٢) .

وعلى كل حال فقد فشلت عطية الاضراب حيث استبدل فريد العمال المضربين بغيرهم كما أن طلبة المدارس العليا قاموا متطوعين بالعمل بدلا من العمال المضربين واشتغلوا في صف حروف الجريدة لدرجة أنها

(٢٨) مذكرات محمد فريد . الجزء الأول . القسم الأول ص ١٠ - ١١ .

(٢٩) نفسه .

(٣٠) محرر اللواء .

(٣١) مذكرات فريد ، ص ١٠ .

(٣٢) نفسه ص ١١ .

لم تحتجب يوما ، وبذلك أذعن العمال المضربين وعادوا الى عملهم بدون شروط (٢٢) .

(ج) مصر الفتاة في مواجهة اللواء

بعد أن فشل على فهمي كامل ومجموعة المنشقين على محمد فريد في السيطرة على جريدة اللواء قاموا بإنشاء جريدة مصر الفتاة لتعبر عن آرائهم وتنتقد سياسة محمد فريد وتضارب اللواء ، وكان ذلك بتشجيع من وزارة الداخلية ، ولكن فريد نجح في ضرب المؤامرة ومحاصرة حركة الانشقاق فزار مقر الجريدة الجديدة وشجع محرريها على العمل وأرسل لهم صورة خطبته السنوية لنشرها في جريدتهم وكان قد ذكر فيها أن الحزب الوطني أصبح له جريدتان بدلا من جريدة واحدة (٢٣) .

وقد انحصر الخلاف بين الجريدتين آنذاك حول التنديد بسياسة الخديو ففى حين قامت اللواء بدور رئيسى في التنديد بسياسة الوفاق بين الخديو والمحتلين كانت جريدة مصر الفتاة تؤيد الخديو وسياسته وهكذا نجح الخديو في ايجاد الشقاق بين أعضاء الحزب الوطني ولكن هذا النجاح لم يستمر طويلا فسرعان ما التأم الصفوف بفعل تذرع فريد بالصبر ومطالبته الجميع بالحذر من الدسائس التي تحاك بالحزب والمخاطر التي تنترب على ذلك ففى جلسة المؤتمر الوطني التي عقدت في ٢٥ ديسمبر ١٩٠٨ ركز فريد على ضرورة التضامن والوقوف في وجه الدسائس التي قصد بها خصوم الحركة الوطنية ايقاع الفرقة والانقسام

(٢٢) الراقعي : المرجع السابق ص ٧٧ .
والجدير بالذكر ان الخلافات بين محرري اللواء لم تكن من نيت سياسة فريد بل انها كانت موجودة في حياة مصطفى كامل للتفاصيل ، انظر الخطاب المرسل من مصطفى كامل الى احمد حلمي المحرر باللواء والمنشور ضمن ملاحق الكتاب .

(٢٣) مذكرات محمد فريد : ص ١١ .

بين أعضاء الحزب وكيفية مقاومة هذه الدبائس وحفظ الحزب من الاحتلال^(٣٥) ، كما أوضح بأن المسألة مسألة مبادئ لا أشخاص وأنه مهما تغيرت الأشخاص أو تبدلت فيجب أن يكون المبدأ ثابت وهو خلاص مصر من الاحتلال ومن سلطة الفرد^(٣٦) .

(د) إلغاء جريدتي الحزب الوطني الفرنسية والانجليزية

ورغم محاولات فريد توحيد الصفوف والمحافظة على وحدة الحزب فقد استمر الخديو في التآمر على الحزب وعرقلة أعماله وظهر ذلك واضحا في إلغاء جريدتي الحزب الفرنسية والانجليزية ورواية الرافعي عن إلغاء هاتين المصحفتين لا تختلف عن رواية محمد فريد كثيرا فمضى الرافعي أن سبب إلغاء الجريدتين يرجع إلى ازدياد نفقاتهما وعجز مواردهما عن الوفاء بالالتزامات المطلوبة وبوجه خاص لأن القراء الأجانب لم يقبلوا عليهما ، بل كان أغلبهم يقاطعونهما فحرمتا من أجل ذلك أهم مورد للإيراد الصحفي وهو الرواج واستنفدتا تدريجيا رأس مال الشركة الذي جمع للنفقات عليهما . ولما نفذ رأس المال أنفق عليهما الحزب من ماله نحو ٢٥٠٠ جنيه ثم لم يستطع أن يتابع أداء نفقاتهما الباهظة فاضطر للإغائهما في أوائل عام ١٩٠٩^(٣٧) .

أما محمد فريد فيذكر أن رأس مال « الاستنداد » بعد وفاة مصطفى كامل كان سبعمائة جنيه وكسور وان هذا المبلغ لا يكفي لسير الجريدة وقد وعد عمر بك سلطان بأن « يصرف من ماله كل ما يلزم لحفظ كيان

(٣٥) الرافعي : المرجع السابق ص ٨٢ — ٨٤ .

(٣٦) نفسه ص ٨٦ .

(٣٧) الرافعي : المرجع السابق ص ١٧٠ .

الاستنداد^(٣٨) ولكن طلعت حرب أقنعه بعدم صرف شيء « لأن الجريدة لا يمكنها الاستمرار على أي حال وبذلك اضطررنا لانعائها في أول ١٩٠٩^(٣٩) » وقد نسب البعض لمحمد فريد عدم القدرة على الاستمرار في أعمال مصطفى كامل ولكن من الواضح أن تكاليف هاتين الجريدتين كانت تثقل كاهل الحزب لدرجة أن مصطفى كامل وأخاه صرفا على الجريدتين في سنة واحدة ما يزيد عن ثلاثة عشر ألف جنيه .

(هـ) الخلاف على ملكية اللواء :

قام الخديو وأتباعه بمزاولة سياسة الضغط على الحزب الوطني عن طريق إيقاع الخلاف بين أعضاء لجنته الإدارية ، وقد لعب على فهمي كامل ومجموعة المنشقين على فريد دورا رئيسيا في اغلاق اللواء فكان لطلعت حرب دور بارز في تحريض عمر سلطان على عدم المساهمة في ملكية اللواء غير أن فريد تمكن من اقناع عمر سلطان حتى وقع على توقيع شركة التأسيس في غياب طلعت حرب ، ولما وقع الاشكال القضائي بين على فهمي كامل وأخوته وزوج أخته^(٤٠) تمكن يوسف المويلحي أحد رجال

(٣٨) مذكرات محمد فريد ج ١ ص ١٢ .

(٣٩) نفسه .

(٤٠) كان على فهمي كامل يمتلك نصف اللواء بمقتضى كتبه له أخيه قبل وفاته ، ولما خسر مبالغ باهظة بسبب اشتغاله في البورصة واضطر إلى الاستدانة اتفق مع أخيه وأخته على أن يرفعوا عليه دعوى ببطالان العقد الذي يملك نصف اللواء بمقتضاء حتى إذا حكم لهم لا يستطيع دائنيه الحجز على نصف الجريدة وافق معهم على أن هذه القضية صورية وأخذ عقودا منهم ببيع نصيبهم له إذا حكم لصالحهم ثم تنازل وأكمل في الدفاع حتى حكم لهم ، وعند ذلك تدخل عثمان صبري زوج إحدى الإختين في الأمر ، وحصل بالتأثير على زوجته على كتابة تنفي الكتابة التي أخذها على فهمي عليها ، وبصفته وكلاء عن زوجته رفع دعوى بإثبات ملكية زوجته ومن معها لنصف اللواء ومطلب تعيين حارس قضائي وهو يوسف المويلحي أحد رجال البوليس السري بالداخلية على اللواء ، وبعد مرافعات طويلة حكم فعلا بتعيينه ..

مذكرات محمد فريد ص ١٣ .

بوليس سرى الداخلية من وضع يده على اللواء فحاول التدخل في سياسة الجريدة والاطلاع على كل ما يكتب فيها ولكن فريد رفض ذلك بصفته رئيسا للحزب ومصاحب الاشراف على جريدته ، ولما أصر المويلحي على موقفه^(١١) ترك فريد اللواء وأعلن بأنها أصبحت لا علاقة لها بالحزب وأسس جريدة العلم^(١٢) وسار اللواء على خطة التنسديد بمحمد فريد ومهاجمته^(١٣) ، واستمر الحال على ذلك حتى عزل المويلحي وعين مكانه على فهمي كامل واستمر اللواء بين الحياة والموت حتى أغلق نهائيا في ٣١ أغسطس ١٩١٢ .

وهكذا انتهت حياة صحيفة اللواء بعد أن ظلت ميدانا للكنافح أكثر من اثني عشر سنة كانت فيها مثالا للجهد في سبيل رفعة الوطن^(١٤) وبذلك أغلقت الصحف الثلاثة التي أسسها مصطفى كامل بعد سلسلة من المؤامرات دبرها على فهمي كامل بمساعدة وتأيد الخديو بهدف اشغال الحزب الوطني والسيطرة عليه ، ولكن محمد فريد لم تكن عزمته فعلى الرغم من أن الوزارة قررت أيضا تعطيل جريدة العلم لسان حال الحزب الوطني بحجة انها لسان حال حزب اتخذ رئيسه لنفسه خطة التهيج والاثارة فقد اتخذ الحزب الوطني جريدة الشعب لسان حاله ووسيلة للاتصال بينه وبين الجماهير^(١٥) .

(١١) في أثناء النزاع بين الحارس القضائي على شركة اللواء ومحمد فريد كتب يوسف المويلحي مقالته يحتكم فيها الى الراى العام ذكر فيها مسألة تعيينه حارسا قضائيا موضحا ان ذلك يتيح له الاشراف على كل ما يصدر في اللواء كما أنه يرى الا يسير اللواء على سياسة مناهضة للانجليز والخديو حتى لا تتعرض للمصادرة والخسائر المادية .
 اللواء . العدد ٣٢٠١ في ١٠/٢/١٩١٠ تحت عنوان « كلمة الى الراى العام » .

(١٢) مذكرات محمد فريد ص ١٣ .

(١٣) انظر اللواء : العدد ٢٢٣٤ في ٢٧ مارس ١٩١٠ تحت عنوان « فريد بك والحزب الوطني » .

(١٤) الرافعي : المرجع السابق ص ٢٨٨ .

(١٥) نفسه ص ٢٨٨ — ٢٨٩ .

٢ — الخلاف بين فريد والخديو :

لما أعلن فريد من تحالف الخديو مع المحتلين على أثر سياسة الوفاق لم يجد بديلا غير أن يتمددى للقوتين معا دون أن يبالي بغضبهما أو تحالفهما ضده فانتقد زيارات جورست لقصر عابدين كما انتقد توثيق العلاقات بين الخديو والمعتمد البريطاني وكتب مقالات في اللواء تحت عنوان « ماذا يقولون » بدأ أولها في ١١ أبريل ١٩٠٨ وقد عرض فيها بالخديو وسياسته وذكره بمواقفه السابقة من الانتصار للحركة الوطنية والدستور^(٦٦) .

ولما سافر فريد الى أوروبا في مايو ١٩٠٨ للدفاع عن القضية المصرية التقى ببعض رجال السياسة والقلم في فرنسا كما سافر الى إنجلترا وقابل المستر بلنت وبعض أعضاء البرلمان الانجليزى^(٦٧) وهناك طالب بالجملاء واعادة الدستور مما ضايق الخديو الذى كان يعمل على الحفاظ على سياسة الوفاق مع الانجليز فحاول ابعاد فريد عن الاتصال بالجماهير وتخريب الندوات السياسية التى يقيمها الحزب الوطنى فعندما سافر فريد الى الزقازيق مع بعض رجال الحزب لالقاء خطبة بمناسبة تاريخ دخول الانجليز لمصر تمضى لهم أنصار الخديو بالمحطة وحاولوا منع الاحتفال ، ولكن لم يتحقق مقصدهم^(٦٨) .

وقد جاهر الخديو بعدائه لفريد بعد أن غشلى في احتوائه فرماه وأنصاره بالتسرع في حديث له مع مكاتب جريدة الطان الباريسية في أبريل ١٩١٠ اذ قال « لقد اشتعلت دائما في ترقية بلادى وتقدمها في الحضارة ولكن للأسف وجد قوم متسرعون جدا أخروا تقدمها الطبيعي

(٦٦) اللواء في ١١ أبريل ١٩٠٨ تحت عنوان « ماذا يقولون » .

(٦٧) مذكرات فريد ص ٥ .

(٦٨) نفسه ص ٥ .

بالحاحهم في مطالب سابقة لأوانها ، ومصحوبة بالفوضىاء^(٤٩) » •

وعرج في حديثه على الاحتلال وجورست فقال « ولي وطيد الأمل في القيام بمهمتنا بمساعدة البلد الذي يؤيد مصر تأييدا عظيما في رفع شأنها وتمدينها ، وان وجود ممثل هذا البلد سير الدون جورست بيننا يعتبر ضمانا وثيقة لنا لتحقيق ذلك^(٥٠) » •

وقد رد فريد على ذلك بمقالتين كشف فيهما عن خطورة سياسة الوفاق على القضية المصرية وانتقد اتهام الخديو له بالتسرع وعلى كل حال فانه يتضح من أحاديث الخديو انتقاده للسياسة العدائية التي كان يجري عليها الحزب الوطني ضد الانجليز ، وتمسكه بسياسة الوفاق التي سار عليها جورست •

ولكى يرهب الخديو أعضاء الحزب الوطني وخصوصا محمد فريد اتهم رجال الحزب بأنهم يدبرون المؤامرات لاغتياله فنشرت المؤيد أنها علمت بخبر اغتيال الخديو عن طريق خطاب مرسل الى شخصية كبيرة بالقاهرة تحمل رتبة مشير^(٥١) •

وازاء ذلك كتب محمد فريد يرد على هذا الاتهام فقال نشرت المؤيد أمس جوابا يدعى أنه مرسل اليه من أحد أعيان الآستانة برتبة مشير • • ولكنه لم يؤكد اسم المرسل ولا المرسل اليه ، وبما أن هذه غربة جديدة من مختلفات صاحب المؤيد يريد بها الايقاع بين الحزب الوطني وبين الجنتاب العالي فأنا أعلن وأصرح بأن هذا الجواب مخفلق وبأنى لم أكتب أى انسان بالآستانة وان كان شيخ المؤيد صادق في دعواه فيذكر اسم المرسل اليه خصوصا وأنه كما يقول من أنصار الحزب الوطني^(٥٢) » •

(٤٩) الرافعى : المرجع السابق ص ١٦٥ •

(٥٠) نفسه ص ١٦٥ •

(٥١) المؤيد : فى ١٩٠٨/١٠/٢٤ •

(٥٢) اللواء : العدد ٢٧٨٨ فى ١٩٠٨/١٠/٢٥ •

ورد المؤيد على اتهامات فريد له بأن الخبر الذي نشره وصله من محسن بك سكرتير المشير مختار باشا^(٥٣) ولكن فريد عقب على ذلك بأن أدلة المؤيد تنفي كذبها لأن محسن بك المذكور كان قد مات منذ أكثر من أربع سنوات^(٥٤).

على كل حال فإننا لا نستبعد أن الحزب الوطني حاول إرهاب الخديو حتى يعدل عن موقفه خصوصا وأن التنظيمات السرية والتخطيط لعمليات الإرهاب والاعتقالات السياسية كانت قد وفدت إلى مصر مع طلاب الحزب الوطني الذين كانوا يتلقون تعليمهم في الخارج وقد بدأت هذه الحركة بكتابة خطابات التهديد للخديو وبالمظاهرات التي كانت تضم الألوف ويشارك فيها أحيانا زعيم الحزب الوطني وبعض أعضائه يرددون الهتافات المعادية للخديو ، وتارة بإحداث فرقعة تحت القطار المسافر بالخديو إلى الاسكندرية وأحيانا بوضع عوائق أمام قطار الخديبر الخاص أثناء مروره من مريوط إلى الاسكندرية^(٥٥).

ونتيجة لذلك رأى الخديو ومسانعته ضرورة ادخال فريد السجن فانتهزوا فرصة لقائه خفية في المؤتمر الوطني ١٩١٢ فأوعزوا إلى الحكومة باتخاذ الاجراءات اللازمة لمحاكمته وإبقائه رهن السجن بواسطة سلسلة من المحاكمات لا تنتهي حتى اذا خرج من سجنه تدبر له تهم جديدة يدخل بسببها السجن ثانية^(٥٦).

٤ — تعيين بطرس غالى رئيسا للنظار وموقف الحزب الوطني منه

نتيجة لسياسة الوفاق كان من الضروري تعيين رئيس للنظار يجمع بين الولاء للخديو والولاء للاحتلال في آن واحد ، ولما كان مصطفى

(٥٣) المؤيد في ١٩٠٨/١٠/٢٩ .

(٥٤) اللواء : العدد ٢٧٩٠ في ١٩٠٨/١٠/٣١ .

(٥٥) مذكرات سعد زغلول . كراسة ٩ ص ٤٤٠ .

(٥٦) الراعى : المرجع السابق ص ٢٧٠ .

فهمى رئيس النظار لا يستطيع القيام بهذه المهمة نظرا لخلافاته المستمرة مع الخديو وقيامه بالوقيعة بينه وبين المتمد البريطاني لدرجة أن جورست طلب منه أن يعرض كافة الأمور على الخديو قبل عرضها عليه تمسسيا مع سياسة الوفاق^(٥٧) كما أنه تصرف معه تصرف الذى يريد حمله على الاستعفاء^(٥٨) ونتيجة لذلك قدم مصطفى فهمى استقالته فى ١١ نوفمبر ١٩٠٨ وتم تعيين بطرس غالى مكانه بناء على توصية من جورست^(٥٩) .

ونظرا لمواقف بطرس غالى المتعددة ضد الحركة الوطنية فقد كان تعيينه فى منصب رئيس النظار بمثابة لطمة شديدة للحزب الوطنى وقد عبرت صحفه عن ذلك وأظهرت تألها لميوله المؤيدة للاحتلال^(٦٠) وأصدر الحزب بياناً برر فيه رفضه لتعيين بطرس غالى فقال أن ذلك يرجع الى توقيعه على الاتفاق الثنائى الخاص بالسودان ولدوره فى محاكمات دنشواى يضاف الى ذلك ما اشتهر به من تحيز لفئة دون أخرى^(٦١) .

وهاجمت جريدة « القطر المصرى » تعيين بطرس غالى رئيساً للوزراء واعتبرت أن ذلك يعتبر تقليلاً من شأن المسلمين كما أثارت وبطريقة غير مسؤولة الشقاق بين عنصرى الأمة^(٦٢) .

أما عن اللواء فبرغم من أن موقفها كان معادياً لبطرس غالى فإنها طالبت بأن يمحى ما نقش فى الأذهان من تأثير أعماله الماضية^(٦٣) .

- (٥٧) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ج ٢ القسم الثانى ص ١٤٢ — ١٤٣ .
 (٥٨) دار الوثائق : مذكرات سعد زغلول . الكراسة رقم ٩ ص ٣٨٠ .
 (59) Stores, Ronald : Orientations p. 61
 (٦٠) اللواء : فى ١٥ نوفمبر ١٩٠٨ مقال لعلى فهمى كابل تحت عنوان « انفسى دنشواى » .
 (٦١) اللواء : فى ١٨ نوفمبر ١٩٠٨ تحت عنوان « الوزارة الجديدة والحزب الوطنى » .
 (٦٢) القطر المصرى : العدد ٣٠ تحت عنوان « تسقط وزارة بطرس غالى القبطى » .
 (٦٣) اللواء : فى ١٣ نوفمبر ١٩٠٨ .

وعلى كل حال فقد دعم تعيين بطرس غالى سياسة الوفاق وكان أداة لضرب الحركة الوطنية فقد أعيد فى عهده قانون المطبوعات الصادر عام ١٨٨١^(٦٤) . كما صدر قانون النفى الإدارى الذى جعل من حق السلطة الادارية نفى أى شخص ترى فيه خطورة على الأمن العام ثم اختتمت الوزارة حياتها بالموافقة على مد امتياز قناة السويس لمدة أربعين عاما .

ونتيجة لمواقف وزارة بطرس غالى سواء فى محاولاتها كبت أنواء الحركة الوطنية أو فى مواقفها الموالية للاحتلال اجتمعت اللجنة الادارية للحزب الوطنى فى ٢٦ مارس ١٩٠٩ وقررت ارسال خطاب احتجاج الى الخديو عبرت فيه عن استيائها من العودة لتطبيق قانون المطبوعات^(٦٥) كما أرسلت تلغرافات الى ديوان الخديو احتجت فيها على تطبيق هذا القانون^(٦٦) كما هاجمت اللواء قانون المطبوعات وتساءلت عن مصير الصحافة بعد تطبيقه^(٦٧) ، ولم يقف الأمر عند ذلك بل اندفعت المظاهرات فى شوارع القاهرة مما أدى الى اضطراب النظام وزيادة متاعب البوليس فى حفظ الأمن^(٦٨) ، وتجمع المتظاهرون عند حديقة الجزيرة ينادون بحياة الحزب الوطنى والغاء قانون المطبوعات^(٦٩) ثم هاجم الخطباء تصرفات الحكومة وموقفها من الصحافة وحرية الرأى

(٦٤) يذكر سعد زغلول انه عندما دار الكلام عن الصحافة بين الخديو ويطرس غالى اشار الخديو الى ضرورة تنفيذ قانون المطبوعات ، ورغم ان بطرس تحفظ على ذلك فقد استقر الامر على تنفيذه .
مذكرات سعد زغلول كراس رقم ٩ ص ٤١٠ .
(٦٥) أحمد شفيق : المرجع السابق ص ١٧٨ .
(٦٦) دار الوثائق : ديوان خديو ١٩٠٩ — تلغرافات جماعية الى الخديو .

(٦٧) اللواء فى اول فبراير ١٩٠٩ تحت عنوان « ماذا يراد بالصحافة »
(68) F.O. 407 — 174 : LoWther to Grey Constantinople
Merch 15,1909 No 187 Part Lxxi

(٦٩) اللواء فى ٢٧ مارس ١٩٠٩ تحت عنوان « المظاهرة الكبيرة » .

العام . ونتيجة لخطورة الموقف حاصرت قوات من البوليس والجيش البريطاني مكان المتظاهرين وطاردوهم في الشوارع بالعصى وسفابك الخيل واطلاق الأعمرة النارية في الهواء^(٧٠) ، كما ألقت الحكومة القبض على أحمد حلمي المحرر باللواء وأحد الخطباء في المظاهرة وقدمته مع آخرين للمحاكمة بتهمة الطعن في الوزارة والخديو^(٧١) ، ورغم ذلك فلم تهدأ الأمور إذ قام طلبة المدارس بمظاهرات طافوا أثناءها بمنازل النظار ورددوا هتافات « فليسقط الظلم ، فليسقط قانون المطبوعات فليحي العدل^(٧٢) » كما أقسموا بأن يقتلوا كل ناظر اشترك في التصديق على مشروع تقييد الصحافة^(٧٣) .

هذا عن موقف الحزب الوطني من إعادة قانون المطبوعات وقانون النفي الإداري أما عن موقفه من مشروع امتياز قناة السويس فينتسح أن انجلترا رأت مد فترة امتياز قناة السويس الذي ينتهي العمل به عام ١٩٦٨ أربعين عاما في نظير دفع مبلغ أربعة ملايين من الجنيهات تدفعها الشركة للحكومة ، وقد ظل المشروع في طي الخفاء حوالي سنة ، وكان في عزم الوزارة تنفيذه نظرا لنقص الاحتياطي المالي في ميزانية الحكومة ، ولكن محمد فريد تمكن من الحصول على نسخة المشروع في أكتوبر ١٩٠٩ فبادر الى نشرها في جريدة اللواء موضعا مدى الغبن الذي سستعرض له مصر من ورائه^(٧٤) مما أثار الرأي العام ، فقد اهتم الناس بهذا الموضوع ورأت الأحزاب ضرورة الاتفاق على طريقة واحدة لمواجهة هذا المشروع^(٧٥) كما طالبت الصحافة بعرض المشروع على

(70) F.O. 407 — 174 . Grahon to Grey, Cairo April 4, 1909 No 13 .

(٧١) اللواء في ١١ ابريل ١٩٠٩ تحت عنوان « قضية الحرية » .

(٧٢) مذكرات سعد زغلول . كراس رقم ١٣ ص ٧٢١ .

(٧٣) نفسه .

(٧٤) الرافعي : محمد فريد رمز الاخلاص والنسحية ص ١٣١ .

(٧٥) مذكرات سعد زغلول كراس رقم ١٧ ص ٨٩٧ .

الجمعية العمومية ، ونظرا لخطورة المسألة اجتمعت اللجنة الادارية للحزب الوطنى فى ٢٩ أكتوبر ١٩٠٩ وقررت دعوة الحكومة الى أخذ رأى الأمة قبل تنفيذ مشروع مد امتياز القناة^(٧٦) . كما أرسلت البرقيات الجماعية الى الخديو عباس الثانى رغب فيها أصحابها تجديد امتياز القناة ، ومطالبوا بعرض الموضوع على الجمعية العمومية^(٧٧) .

ولما تخرج موقف الخديو أوعز الى بطرس غالى رئيس النظار بأن يذكر أمام المستشارين الانجليز بأنه لا يقف عقبة فى سبيل تنفيذ المشروع ، ولكنه تأثر بأقوال الجرائد والبرقيات التى وصلته ونظرا لما آلت اليه البلاد من الغليان حاول الخديو اقناع جورست بعرض المشروع على الجمعية العمومية^(٧٨) ، ومع أن جورست لم يعترض على ذلك الا أنه اشترط بأن توافق الحكومة على المشروع أولا ثم تترك أمر تنفيذه على موافقة الجمعية العمومية^(٧٩) على أن يدافع سعد زغلول عن المشروع أمام الجمعية العمومية^(٨٠) .

ونتيجة لذلك قامت الوزارة بدعوة الجمعية العمومية للانعقاد لاحالة المشروع عليها .

وعن موقف الخديو من المشروع فيختلف رأى سعد زغلول فيه فأحيانا يذكر أن الخديو كان موافقا على المشروع ثم يعود فيذكر أن الخديو كان يظهر الموافقة ويبطن الخلاف^(٨١) ولكننا نرى أن الخديو كان

(٧٦) الزامى : المرجع السابق ص ١٣٣ ، اللواء لى ١٣ أكتوبر ١٩٠٩ تحت عنوان اجتماع اللجنة الادارية للحزب الوطنى .
(٧٧) دار الوثائق : محافظ عابدين — ديوان خديو . التماسات جماعية — تلغرافات محفوظة رقم ١ .

(٧٨) مذكرات سعد زغلول كراس رقم ١٧ ص ٨٩٥ .
(٧٩) مذكرات سعد زغلول : كراس ١٧ ص ٨٩٥ .
(٨٠) أحمد شفيق : المرجع السابق ج ٢ القسم الثانى .
(٨١) مذكرات سعد زغلول كراس رقم ١٨ ص ٩٢٥ .

مضطرا للموافقة حتى لا يعرض سياسة الوفاق للانهدام والدليل على ذلك أن الشيخ علي يوسف الذي كان يسيطر الخديو على سياسته شدد الوطأة على المشروع في جريدته كما أنه انتقد المشروع في خطبته بنادي حزب الإصلاح وانتقد المستشار المالي الانجليزي وطلب من الجمعية العمومية تأجيل النظر في هذا المشروع حتى تمنح البلاد مجلسا نيابيا^(٨٢) ، ولكي تتضح مخاطر المشروع أمام الرأي العام قام محمد فريد بتوضيح أبعاده السياسية فأصبح أهمية حفظ مرافق الأمة في أيدي أبنائها وهاجم تمليك مرافق البلاد الى الشركات الانجليزية وناشد أعضاء الجمعية العمومية الاستقلال في الفكر والشجاعة الأدبية لأن مصالح الأمة فوق كل شيء^(٨٣) كما دعا الحزب الوطني الى القيام بمظاهرة عند اجتماع الجمعية العمومية للمناداة برفض المشروع .

وفي ٩ فبراير ١٩١٠ افتتحت جلسات الجمعية العمومية برئاسة الأمير حسين كامل ، وقد حاولت الحكومة استعمال الشدة مع الأعضاء لكي يوافقوا على المشروع فقد كان بطرس غالي يعتقد أن المشروع نافع للبلاد^(٨٤) كما كان الأمير حسين كامل يؤيد المشروع^(٨٥) ولكن الأعضاء أصروا على رفض المشروع . وفي ١٠ فبراير شكلت الجمعية لجنة مكونة من خمسة عشر عضوا لدراسة المشروع وكتابة تقريرها عنه ، وقد انتهت اللجنة الى عدة قرارات أهمها :

عدم قبول مشروع عقد الاتفاق المعروض على الجمعية لأنه ليس في صالح البلاد بل يعد غيبا فاحشا على مصر^(٨٦) ونظرا للمعارضة

-
- (٨٢) مذكرات سعد زغلول ، كراس رقم ١٨ من ٩٢٢ .
 (٨٣) اللواء . في ٣٠ يناير ١٩١٠ تحت عنوان « مسألة قناة السويس - اعتبارات سياسية » .
 مذكرات سعد زغلول . كراس رقم ١٨ من ٩٢٣ .
 (٨٤) مذكرات سعد زغلول كراس رقم ١٧ من ٨٩٦ .
 (٨٥) مذكرات سعد زغلول كراس رقم ١٨ من ٩٢٤ .
 (٨٦) الرابعي : المرجع السابق من ١٥١ — ١٥٢ .

الشديدة للمشروع في الجمعية العمومية لم يجد الأمير حسين كامل
بديلا عن الاستقالة من رئاسة جلسات الجمعية خصوصا بعد أن فشل
في تحويل دفة المناقشات لصالح الحكومة (٨٧) .

وفي وسط الجو المشحون بالتوتر أطلق ابراهيم الورداني رحاس
مسدسه على بطرس غالي فأصابه اصابات بالغة أودت بحياته .

واستمرت المناقشات في الجمعية العمومية ، وفي النهاية تقرر رفض
المشروع بأغلبية الآراء ، فكانت هذه هي المرة الأولى التي استطاعت
فيها الجمعية العمومية فرض رأيها على الحكومة .

وهكذا نجح ضغط الرأي العام المصري في اجبار الانجليز والوزارة
على العدول عن مشروع له مساس كبير بالاقتصاد المصري .

٥ — مقتل بطرس غالي واسبابه :

اجتاح الغضب النفوس بسبب رغبة الحكومة في مد امتياز قناة
السويس ومحاولات بطرس غالي اجبار أعضاء الجمعية التشريعية على
قبوله ونتيجة لذلك رأت القيادة الثورية للحزب الوطني ضرورة التخلص
من بطرس غالي لمواقفه المثيرة للشكوك ضد الوطنيين ، وفي تمام
الساعة الواحدة بعد ظهر يوم الأحد ٢١ فبراير ١٩١٠ وبينما كان بطرس
غالي خارجا من ديوان وزارة الحفانية أطلق عليه « ابراهيم ناصف
الورداني » رصاصات مسدسه خر على أثرها مضرجا في دماؤه (٨٨) .

ورغم أن القيادة الثورية للحزب الوطني كانت المسؤولة عن الحادث
كما يتضح من مذكرات محمد فريد (٨٩) فإن الورداني قد تحمل مسؤولية

(87) Blunt : My Diaries Vol . II, p. 306 .

(٨٨) أنور العمروسي : الجرائم السياسية في مصر ج ١ ص ٢٨ .

(٨٩) مذكرات محمد فريد . كراس رقم ٩ ص ٢٤٦ .

هذا العمل وحده موضحاً أن الذي دفعه الى ذلك هو توقيع بطرس غالى على اتفاقية السودان عام ١٨٩٨ والتي بمقتضاها أصبح للانجليز السيطرة الفعلية عليه واشتراكه فى المحكمة المخصصة التى حاكمت المتهمين فى حادث دنشواى يضاف الى ذلك اعادته لقانون المطبوعات الذى سلط سيفه على رقاب الصحف . ثم اهانته لأعضاء الجمعية التشريعية أثناء مناقشة مشروع مد امتياز قناة السويس .

وقد حاولت الحكومة اجبار الوردانى كى يعترف على شركائه فى الجريمة ، ولكنه صمم على أنه هو الفاعل وأنه لم يشترك معه سوى اثنين هما يده وعقله^(٩٠) ، وظل على موقفه هذا من بداية التحقيق معه حتى اعدامه .

وعلى أثر الحادث بدأت يد الاستعمار وأعدائه تنفث سمومها فأوعز البعض بأن سبب هذا الحادث يرجع الى التعصب الدينى وكادت لعبتهم تجدى لها مرتعا خصيبا ، ولكننا نرى أن هذا الزعم غير صحيح فبطرس غالى لم يكن أول مسيحي يتولى الوزارة فقد سبقه نوبار ، وإن السبب الرئيسى فى مصرع بطرس غالى كان ولاؤه الشديد للاحتلال ، وعقب ذلك عقدت المؤتمرات القبطية ، كما عقد المؤتمر المصرى الأول^(٩١) تحت رئاسة رياض باشا ولكن حكمة الحكماء أوضحت أن حالة البلاد لا تسمح بتقسيم المصالح بين أبنائها تبعاً لأديانهم^(٩٢) .

(٩٠) محمود عاصم : المرافعات فى أشهر القضايا — المجموعة الجنائية الأولى القاهرة — لجنة نشر الثقافة القانونية ١٩٣٣ ص ٨٩ .

(٩١) عن هذا المؤتمر . انظر مجموعة أعمال المؤتمر المصرى الأول المنعقد فى هليوبوليس فى الفترة من ٢٩ ابريل الى ٤ مايو ١٩١١ القاهرة — المطبعة الأميرية ١٩١١ .

(٩٢) نفسه ص ٣ .

ومع أن الحزب الوطني نفى عن نفسه أى علاقة بالحادث^(٩٣) فإن أنظار الحكومة اتجهت الى تفتيش منازل زعماء الحزب الوطني^(٩٤) فى محاولة منها لمعرفة مدبرى الحادث لذلك تأخرت محاكمة الوردانى حوالى شهرين ، ثم تم التحقيق معه فى جو من السرية فلم يسمح لمحررى الصحف حضور التحقيق ، وفى أثناء التحقيق وجه عبد الخالق ثروت النائب العمومى تهمة القتل العمد لإبراهيم الوردانى فذكر أنه « قتل بطرس باشا عامدا متعمدا^(٩٥) » كما وجه تهمة المشاركة فى الحادث لآخرين^(٩٦) وقد طالب النائب العمومى باعدام الوردانى عملا بالمادة ١٩٤ التى تنص على أن « كل من قتل عمدا مع سبق الإصرار على ذلك أو التردد يعاقب بالإعدام » وعندما سأل القاضى الوردانى عن أسباب قتله لبطرس غالى قال انها أسباب سياسية محضة وليس بينه وبينه أى ضغائن شخصية ولا دينية كما ذكر أنه ليس له شركاء^(٩٧) .

وقد ذكر محمود أبو النصر أحد المحامين الذين دافعوا عن الوردانى بأنه يشك فى أن الرصاصات التى أطلقت على بطرس باشا كانت القاتلة^(٩٨) وانما العملية الجراحية التى أجريت له فى المستشفى على أثر الحادث كافتت المسبب وأن المصاب كان يمكن أن يعيش لو ترك وشأنه بدون عملية ، وقد دفع ذلك المحكمة الى عرض الأمر على اللجنة الطبية التى قامت بأجراء العملية لبطرس غالى فقررت أن العملية كانت ضرورية وأن المصاب كانت امصابته مميقة وانتهت المحكمة بالحكم باعدام إبراهيم

(٩٣) اللواء فى ٢١ ، ٢٢ فبراير ١٩١٠ تحت عنوان « الحادث الخطير لوفاء رئيس النظار » و « قتل رئيس النظار » .

(٩٤) مذكرات سعد زغلول كراس رقم ١٨ ص ٩٢٥ .

(٩٥) المرافعات فى أشهر القضايا ص ٩١ .

(٩٦) للتفاصيل انظر : المرافعات فى أشهر القضايا ص ٩١ .

(٩٧) نفسه ص ٩٢ .

(٩٨) نفسه .

الورداني شنقا في ١٨ مايو ١٩١٠ ونتيجة لذلك قام رجال الحزب الوطني بمحاولات كثيرة لتخفيف الحكم على الورداني فأرسلت آلاف التلغرافات الى الخديو يطلب فيها أصحابها تخفيف الحكم على الورداني بحجة أن القضية لم يتوفر لديها شرط الاعدام^(٩٩) ولكن محاولاتهم ذهب مسدى .

وعلى كل حال فانه بمصرع بطرس غالى انتهت سياسة الوفاق بين الخديو والاحتلال فبموته أحس جورست أن رصاصات الورداني قضت على آماله^(١٠٠) .

(٩٩) دار الوثائق ، محافظ عابدين — ديوان خديو . التماسات جماعية محفظة رقم (١) تلغرافات .

(100) Storrs, Ronald : op. Cit p. 73 .